بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 14 يناير 2019

النُّصُوص التَّأسِيسِيَّةُ لِمَفْهُوم «نَظَرِيَّة الجِهَادِ المُعَاصِر»

المُنجي الأسود
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

النُّصُوص التَّأْسِيسِيَّةُ
لِمَفْهُوم «نَظَرِيَّة الجِهَادِ المُعَاصِر»[1]

1- نشر في كتاب "الجهاد" منشورات مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث سنة 2018، إشراف بسام الجمل، تقديم أنس الطريقي.

المُلَخَّص:

يكون التأصيل للجهاد بمفهومه الراهن بالعودة به إلى النصوص التأسيسيّة التي انطلق منها، ونقصد بذلك النص النواة (القرآن) الذي حفت به نصوص ثوانٍ هي أساساً علوم القرآن. وإذن فإنَّ البحث في ما ترسّب في الذاكرة الجماعيّة من تلك الأفهام البشريّة التي ساهمت بشكل أو بآخر في تشكيل ما نحن فيه من انزياحات أنتجت المفهوم الراهن للجهاد، يقتضي منّا تتبّع منهج تاريخي نركّز من خلاله على تاريخيّة النصوص التأسيسيّة التي استند إليها الجهاد الراهن، ثمّ تتبّع تفاعل الأجيال الأولى والمتأخّرة للمسلمين مع تلك النصوص بما أنتجوه من نصوص ثوانٍ هي التي ساهمت في تأسيس منهج سيّج النص التأسيسي ووجّهته وجهة تميّزت بأحادية الفهم الواحد والمقدّس هو مفهوم الجهاد الراهن. وواجب الباحث اليوم أن يقف على أهم المرجعيات التي أدّت إلى انزياح الأفهام عن جهاد المرحلتين المكّيّة والمدنيّة.

تمهيد:

كان الجهاد منذ القديم موضوعاً جديراً بالاهتمام، وما يزال كذلك بسبب ما له من خطورة في تحديد العلاقة بين المسلم وغيره من المسلمين وغير المسلمين. ونظراً لتلك الخطورة بقيت أرضيّته غير ثابتة، فكثيراً ما خضعت نظريّة الجهاد في الثقافة الإسلامية للموقف من ذلك الآخر الذي ما فتئت تتغيّر هويّته بتغيّر الظروف التاريخيّة منذ اللحظة الأولى التي شُرّع فيها الجهاد إلى اليوم. ولعلّ كلّ محاولة لفهم ما آلت إليه التصوّرات في بلورة نظريّة الجهاد المعاصر تبقى قاصرة النّظر إذا أغفلت مراحل تطوّره الكبرى.

أوّلا: المؤلفات القديمة والحديثة في الجهاد

في خطوة أولى لكشف مراحل الجهاد الكبرى ننظر في المؤلفات القديمة والحديثة حتى نقف على أهميّة هذا المشغل. فعلاوة على تخصيص كتب الحديث أبواباً له، فقد أفرِدت له كتب مستقلّة مثل **كتاب الجهاد** لعبد الله بن المبارك (تـ 181هـ)، و**كتاب الجهاد** لابن أبي عاصم، (تـ 287هـ)، و**كتاب الأربعين في الحث على الجهاد** لابن عساكر (تـ 571هـ)، وكتاب **الأربعين في الجهاد والمجاهدين**، لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي العز الواسطي (تـ 618هـ)، و**كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد** لمحمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ القرطبي (تـ 620هـ)، وكتاب **فضل الجهاد والمجاهدين** لأَحْمَد بن عَبْد الوَاحِدِ المَقْدِسِيُّ (تـ 623هـ)، حتّى صار الجهاد **علماً يعرف به أحوال الحرب وكيفيّة ترتيب العسكر واستعمال السلاح ونحو ذلك. وهو باب من أبواب الفقه يذكر فيه أحكامه الشرعيّة، وقد بيّنوا أحواله العاديّة وقواعده الحكميّة في كتب مستقلّة، ولم يذكره أصحاب الموضوعات بلفظ: علم الجهاد، لكنّهم ذكروه في ضمن علوم: كعلم ترتيب العسكر وعلم آلات الحرب ونحو ذلك**[1].

هذا بالنسبة إلى الكتب المفردة، أمّا كتب الفقه والسيرة والتاريخ والعقيدة، فلا يغيب عنها موضوع الجهاد باعتباره جزءاً لا يتجزّأ من العقيدة، من جهة أنَّ الجهاد ما لا يكتمل إسلام المرء إلّا به وفق شروط حدّدتها أغلب الكتب الفقهيّة[2]، أو من جهة أنَّه ما لا يكتمل إيمان المرء إلّا به كما هو الشأن بالنسبة إلى ما كتبه ابن تيميّة وتلميذه ابن قيّم الجوزيّة، أو ما تضمّنته موسوعة **الدرر السنّية في الأجوبة النجديّة** التي جمعت رسائل ومسائل علماء نجد. إذ لم تخلُ كتب هؤلاء من اعتبار الجهاد من شروط التوحيد.

1- حاجي خليفة (تـ 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد، 1941، ج1، ص 622.

2- يمكن العودة على سبيل المثال لا الحصر إلى: محمد بن إدريس الشافعي (تـ 204هـ)، كتاب الأم، دار المعرفة، بيروت، 1990.

أمّا الكتب المعاصرة، فهي كثيرة ومتعدّدة، نأتي على أهمّها بحسب طبيعة طرقها للموضوع. لكنّ المشترك بينها جميعاً هو البعد الأيديولوجيّ الذي يدفع كلّ مؤلّف للكتابة في موضوع الجهاد منها أيديولوجيّة السلفيّة الجهاديّة، وهي أهمّها، ومنها الأيديولوجيّة المذهبيّة، ...إلخ[3].

فمؤلفات السلفيّة الجهاديّة في هذا الصدد كثيرة، أهمّها: كتاب «**معالم في الطريق**»[4] لسيد قطب، الذي يعتبر من المنظّرين الأوائل لهذا الفكر، وقد خصّص في كتابه المذكور فصلاً وسمه بعنوان الجهاد في سبيل الله. الذي استند في بناء تصوّره لابن قيّم الجوزيّة.

أضف إلى ذلك كتاب «**الجهاد: الفريضة الغائبة**»[5] الذي ألّفه محمد عبد السلام فرج، مؤسس الجماعة الإسلاميّة في مصر، والمشارك في عمليّة اغتيال الرئيس المصري أنور السادات. وأغلب عناصر هذا الكُتيب قائمة على ما كتبه ابن تيميّة في كتاب الجهاد من «**الفتاوى الكبرى**»[6].

ومن الكتب الجهاديّة التي لاقت رواجاً كبيراً حتى قبل أن تُطبع، كتاب «**ملّة إبراهيم**»[7]، للأردني أبي محمد المقدسي، الذي اعتبره البعض أوّل من استعمل مصطلح السلفيّة الجهاديّة في كتبه. ولهذا الرجل مكانة مرموقة بين مؤيديه إلى حدّ دفع بعضهم إلى تأليف كتاب بعنوان: «**القول النرجسي بعدالة شيخنا المقدسي**»[8] بعد أن تعرّض إلى حملة في الإعلام السعودي بيّن فيها أصحابها فساد فكر الرّجل وخبث مؤلّفه. وكتاب «**ملّة إبراهيم**» يقوم على فكرة أساسيّة هي البراءة من الشرك وأهله وما يترتب عن ذلك من ابتلاء في الانتصار لملّة إبراهيم، استقى هذه الفكرة بالاستناد إلى «**موسوعة الدرر السنيّة في الأجوبة النجديّة**»[9].

3- نحيل إلى ما أثبتناه من الكتب الغربية التي نظرت إلى الجهاد السلفي باعتباره من جوهر الإسلام، فيقائمة المراجع باللسان الأجنبي. ونحيل هنا أيضاً إلى بعض المؤلفات الأخرى التي حاولت أن تقدّم مقاربة معتدلة إذا ما قورنت بالجهاد السلفي، انظر على سبيل المثال: القرضاوي، فقه الجهاد، دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، ط3، مكتبة وهبة، مصر، 2009. كما نحيل أيضاً على بعض الدراسات الأكاديميّة في هذا الصدد مثل:

Sami A. Aldeeb Abu-Sahlieh; Le jihad dans l'islam; Interprétation des versets coraniques relatifs au jihad à travers les siècles**,** CreateSpace Independent Publishing Platform; **Édition:** 1 (4 mars 2016).

4 ـ قطب، سيد، معالم في الطريق، ط6، دار الشروق، بيروت، 1979.

5- لا بدَّ من تنبيه القارئ إلى أنَّ بعض الكتب الجهادية غير متوفرة بنسخ ورقية وأغلبها ليس صادراً عن دور نشر رسميّة باعتبارها كتباً سريّة لتنظيمات سريّة أيضاً. لذلك نشير في قائمة المراجع إلى العنوان الإلكتروني الذي أخذنا منه الكتاب متى تعذر علينا مطالعته في نسخة ورقيّة.

6- تقي الدين بن تيميّة (تـ 728هـ)، الفتاوى الكبرى، ط1، دار الكتب العلميّة، 1987.

7- أبومحمد عاصم المقدسي، ملّة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين وأساليب الطغاة في تمييعها وصرف الدعاة عنها، نشر منبر التوحيد والجهاد.

8- أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، القول النرجسي بعدالة الشيخ أبي بكر المقدسي، 2009.

9- الدرر السنيّة في الأجوبة النجديّة، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي(تـ1392هـ)، ط6، 1996.

يضاف إلى ما تقدّم كتاب أبي قتادة الفلسطيني (عمر بن محمود أبو عمر) «**الجهاد والاجتهاد: تأملات في المنهج**»[10] الذي أقامه على فكرتين أساسيتين هما: الجهاد في مجتمعات معاصرة، والاجتهاد في مجتمعات معاصرة، فبيّن أوّلاً أنَّ الاجتهاد من الجهاد، وكلامهما ممّا فرض على المسلم فلا يكتمل أحدهما إلّا بالآخر. وآية الاكتمال هي نظريّة النفير المشار إليها في الآية122 من سورة التوبة9. ويظهر تأثّره بسيّد قطب من المحدثين وبابن قيّم الجوزيّة من القدامى.

أمّا كتاب «**دعوة المقاومة الإسلاميّة العالميّة**»[11] لأبي مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، فهو من أضخمها تحليلاً وتنظيراً، قدّم من خلاله تأريخاً للحركة الجهاديّة من النصف الثاني للقرن العشرين إلى حدود سنة 2004، وتقييماً لمسيرة قرابة نصف قرن من الأعمال الجهاديّة والحركيّة. والأهمّ من ذلك كلّه هو الكشف عن الخلفيّة النظريّة المتمثلة في أفكار ابن تيميّة وابن قيم الجوزيّة ومحمّد عبد الوهّاب مؤسّس الدعوة الوهّابيّة.

وتجدر الإشارة إلى بعض مؤلّفات عبد القادر بن عبد العزيز (السيد إمام الشريف) مثل كتاب «**العمدة في إعداد العدّة للجهاد في سبيل الله تعالى**» الذي اهتمّ فيه بشرح مبدأ التكفير والهجرة من أرض الشرك. وكتاب «**الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر**» الذي كتبه بعد أحداث 11 سبتمبر2001 لتأييد تلك الضربات استناداً إلى الآية 60 من سورة الأنفال 8[12].

ونختم الحديث عن كتب السلفيّة الجهاديّة بذكر أهمّها في السنوات الأخيرة، ونقصد بذلك كتاب «**إدارة التوحّش: أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمّة**»[13] لصاحبه أبي بكر ناجي، وهو كتاب يعرض فيه مراحل قيام الدولة الإسلاميّة وهي: **شوكة النكاية والإنهاك، وإدارة التوحش، ثمَّ التمكين**. وقد استلهم المؤلِّف فكرة **إدارة التوحش** من تجربتين عرفهما التاريخ الإسلامي، كانت أولاهما تجربة الرسول حين هاجر إلى يثرب، حيث تعمّ الفوضى فأحسن إدارتها، ما أدّى إلى التمكين المتمثّل في قيام الدّولة الإسلاميّة. وثانيتهما تجربة ابن تيميّة في الشام الذي كان تابعاً لمصر عاصمة سلطة المماليك، فكثيراً ما تخلّت هذه السلطة عن الشام في ظلّ هجمات التتار، فعمّت الفوضى، ما أتاح لابن تيميّة إدارتها بالحض على الجهاد والتمكين له في الشام وأهله.

---

10 - أبو قتادة الفلسطيني (عمر بن محمود)، الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج، ط1، دار البيارق، الأردن، 1999.

11 - أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلاميّة، 2004.

12- الكتاب الثاني لم نعثر عليه، وبعض الروابط الإلكترونية المحيلة إليه معطلة. ووقفنا فقط على بعض الفقر منسوبة إلى الرجل في مواقع إلكترونيّة عدة يصعب التحقق من صدقها. لذلك نعزف عن ذكرها وذكر ما تحيل إليها من روابط.

13- أبو بكر ناجي، **إدارة التوحّش: أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمّة**، مركز الدراسات والبحوث الإسلاميّة، د.ت. وتجدر الإشارة إلى أنّ اسم الكاتب هو اسم مستعار ولا تعرف هويته الحقيقيّة.

وأمّا المؤلّفات في الجهاد المذهبي، فيمكن اعتبار كتب السلفيّة الجهاديّة من وجهة نظر أخرى كتباً مذهبيّة، لأنَّها تعتبر نفسها **الفرقةَ الناجية**، وما سواها من الفرق الأخرى، وخصوصاً منها الشيعة، فرقاً ضالّة وجب تكفيرها ومجاهدتها أيضاً[14]. وبالأيديولوجيّة نفسها، ولكن من زاوية مقابلة، تظهر بعض الدراسات الأخرى، مثل كتاب «**الشيعة والخوئي جهاد واجتهاد**» لصاحبه إبراهيم الجبّوري الذي ركّز فيه على جهاد شيعة النّجف لكلّ المضطهِدين لهم وخصوصاً اضطهاد الحركة الوهّابية لهم في بداية القرن التاسع عشر[15]. أضف إلى ذلك كتاب «**جهاد الشيعة في العصر العباسي الأوّل**»[16] لسميرة مختار الليثي الذي بيّنت فيه أنَّ مسيرة الشيعة منذ نشأتها حركة عقائديّة هي مسيرة الجهاد المقدّس.

وهذه الكتب مجتمعة تطرح مسألتين نراهما على غاية من الأهميّة في تحديد الإشكاليّات المتعلّقة بالجهاد المعاصر هما: مفهوم الجهاد في حدّ ذاته، وتحديد هويّة العدو الواجب مقاتلته. وعلى أساس هاتين الإشكاليّتين سنحاول أن نعرض فيما يلي تاريخيّة النصوص التأسيسيّة التي قام الجهاد عليها، وما استقرّت عليه تلك النّصوص عند انتهاء الوحي بوفاة الرّسول، ثمّ نعرض بعد ذلك «**النّصوص المؤسّسة للجهاد المعاصر**». فإذا أمكن لنا تجلية ذلك، استطعنا أن نقف على الانزياحات الممكنة عن النصوص التأسيسيّة الأولى.

ثانياً: الجهاد في النصوص التأسيسيّة

الباحث كامل سلامة الدقس في كتابه: «**آيات الجهاد في القرآن الكريم، دراسة موضوعيّة وتاريخيّة وبيانيّة**» أقام بحثه على أساس منهج تاريخيّ قوامه «**دراسة الظروف التاريخيّة المختلفة التي أحاطت بنزول السور الجهاديّة**» ليحقّق هدفين: أوّلهما «**ربط النصوص القرآنيّة بالأحداث التاريخيّة التي نزلت فيها**»، وثانيهما «**توزيع النصوص القرآنيّة موضوع البحث بين عدّة مراحل تاريخيّة متميّزة**»؛ ليتمكّن «**من ملاحظة أدوار التطوّر التي مرّ بها موقف القرآن من أعدائه في كلّ مرحلة على حدة، ثمّ في المراحل جميعاً**». وهذا المنهج يجعله في حلٍّ من اللّجوء «**إلى القول بنسخ الآيات القرآنيّة التي تتعارض في أحكامها**

14- يعتبر مخالفو السلفيّة الجهاديّة في أطروحاتهم وتوجهاتهم الفكريّة أنّهم خوارج هذه الأمّة، بالرغم من أنهم ينطلقون من الأرضيّة المعرفيّة نفسها. يقول محقق كتاب ابن تيميّة: **الرد على الإخنائي قاضي المالكية: كما يفعل أذناب الخوارج في عصرنا هذا؛ وهم الجماعات التي تنتسب للإسلام، وتطلق على نفسها «الجماعة الإسلامية المسلّحة»! أو «المقاتلة»! وجماعة التكفير والهجرة! ... وهؤلاء أجهل الناس بالإسلام، والإسلام منهم براء، إذ قاموا بقتل المسلمين في ديارهم، وأفسدوا إفساداً ما بعده فساد، و«الله لا يحب الفساد». فتراهم يحاربون المسلمين ويقتلونهم، ويتركون أعداء الله الأصليين لا يقربونهم، وقادتهم -أي زعماء هذه الجماعات- في بريطانيا وأمريكا ودول الغرب يسرحون ويمرحون! وهم عن سبيل العلم والدعوة ناكصون! فأيّ جهاد هذا؟!**» تقي الدين بن تيميّة، الرد على الأخنائي قاضي المالكية، تحقيق الداني بن منير آل زهوي، ط1، المكتبة العصرية - بيروت، 1423هـ، هامش1، ص 215.

15- هادي الجبوري، الشيعة والخوئي جهاد واجتهاد، ط1، 1997.

16- سميرة مختار الليثي، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ط1، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، 2007.

في كلّ مرحلة تاريخيّة، كما فعل القدماء، أو ليّ أعناق النّصوص وتأويلها تأويلاً يبعدها من حقيقتها كما فعل المحدثون»[17].

يغري اتّباعُ هذا المنهج بترتيب آيات الجهاد ترتيباً تاريخيّاً يسمح بقراءة الأحكام الواردة فيها من زاوية نظر تطوّرها التاريخيّ، أي قبل أن تمسّها النّصوص الثواني بشيء من التأويل والتفسير والتوجيه والتسييج. وقد توصّل الدقس إلى تقسيم تاريخ الجهاد في القرآن إلى مرحلتين كبيرتين هما: الفترة المكيّة (13 سنة قبل الهجرة)، والفترة المدنيّة (10 سنوات بعد الهجرة).

1. الفترة المكّية:

أمّا الفترة المكّيّة، فقد بيّن الدقس في دارسته سالفة الذكر أنّها خلت من التشريع للجهاد الحربيّ، بل خلت من الأمر بأيّ فعل عنيف. فكان مضمون القرآن المكّي حريصاً على الأمر بالجهاد النفسيّ المتمثّل في الصبر على الأذى والصّفح عن كلّ مخالف عذّب مؤمناً بالدين الجديد، أو سلّط عليه أيّ نوع من أنواع الأذى. وقد كان العديد من النّصوص القرآنيّة المكّيّة في هذا الصدد موجّهاً إلى الرّسول يلزمه بتبليغ الرّسالة، وتحدّثت نصوص مكّيّة أخرى عن الأذَى الذي سلّطه مناوئو الدّعوة المحمّديّة على معتنقي الدين الجديد، فـ «**سورة البروج المكّيّة مبكّرة في النّزول، ممّا يدلّ على أنّ رؤساء المشركين قد أخذوا يعذّبون المستضعفين ويفتنونهم عن دينهم منذ عهد مبكّر من الدعوة**»[18]، وهو ما تظهره الآية (**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**) [البروج 10/85].

وغاية ما ذكر في جهاد الفترة المكّيّة الآية 52 من سورة الفرقان 25 (**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**). وهي آية مكّيّة ذكر فيها فعل «**جاهد**» في صيغة الأمر مسنداً إلى الرّسول متبوعاً بمفعول مطلق ورد مركّباً نعتيّاً منعوته لفظ «**جهاد**»، وفعل «**جاهد**» في الآية واقع على الكافرين، ويكاد المفسّرون يجمعون على أنَّ وسيلة جهادهم هي القرآن نفسه أي الكلمة ومقارعة الحجّة بالحجّة. ولم تنته هذه الفترة إلّا بتحوّل مهمّ جدّاً تمثّلَ في بيعة العقبة الثانية التي تعرف باسم **بيعة الحرب** أيضاً.

17- كامل سلامة الدقس، آيات الجهاد في القرآن الكريم، دراسة موضوعيّة وتاريخيّة وبيانيّة، دار البيان للنشر، الكويت، 1972، ص 185. لكنّ هذا المؤلف انتهى إلى اعتبار المرحلة الرابعة كما سنبيّن لاحقاً هي ما استقرت عليه نظريّة الجهاد. واعتبر هذه النتيجة دون اللجوء إلى مقولة النسخ التقليديّة. فهل يمكن اعتبار ما توصل إليه نوعاً آخر من النسخ هو النسخ التاريخي؟ ومهما يكن من أمر، فالنتيجة هي نفسها، وهي عدم الاعتراف بآيات الصبر والصفح والعفو.

18- المرجع السابق، ص 195.

2. الفترة المدنيّة:

أمّا الفترة المدنيّة، فهي تمتدّ على أربع مراحل، يمكن تلخيصها في ما يلي باعتماد دراسة الدقس سالفة الذكر، وهي:

المرحلة	الفترة التاريخيّة	الحكم الفقهي
الأولى:	من 1هـ إلى 2هـ	الإذن في القتال
الثانية:	من 2هـ إلى 6 هـ	فرض قتال الدفاع
الثالثة:	من 6 هـ إلى 9 هـ	فرض قتال الطلب
الرابعة:	من 9 هـ إلى 10 هـ	تحديد العلاقات النهائيّة بين المسلمين وغيرهم

إنّ هذه المراحل تبدو متناسبة ومتدرّجة بحسب الرّوايات التي قدّمت لنا ترتيباً تاريخيّاً لنزول السّور والآيات القرآنيّة. إنَّ هذا الترتيب يمكن أن ننزّل فيه النّصوص التأسيسيّة للجهاد وفق ما تيسّر لنا من روايات تتحدّث عن ارتباط تلك النّصوص بأحداث تاريخيّة بعينها. فعلى امتداد عشر سنوات، وهي الفترة المدنيّة كلّها، عرفت الدّعوة المحمّديّة تحوّلات مفصليّة بدءاً بالهجرة وانتهاء بنزول سورة السيف/ التوبة 9 التي اعتبرت سورة حاسمة في تحديد العلاقات بين المسلم والآخر، مسلماً كان أو غير مسلم. ويمكن أن نعرض ذلك بالاستناد إلى ما توفّر من أخبار في كتاب المصحف وقراءاته. منهجنا عرض النصوص التأسيسيّة للجهاد حسب المراحل المذكورة آنفاً، ثمّ ذكر ما تعلّق بها من نصوص ثوانٍ ستشكّل لاحقاً علوم القرآن وخصوصاً منها أسباب النزول والنسخ.

أ) **المرحلة الأولى**: من السنة الأولى إلى السنة الثانية للهجرة

تمثّل الآيتان 39 و40 من سورة الحج 22 (**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**)، تمثل النصّ التأسيسيّ الأوّل الذي رفع منع القتال. وهو نصّ يؤكّد مضمونه أنّه نزل بعد وقوع أهمّ حدث تاريخيّ عرفته الدّعوة المحمّديّة ختمت به الفترة المكّيّة، وهو حدث الهجرة.

وفي هذا الصّدد تتنزّل النّصوص الثواني من أسباب نزول ونسخ، فقد ذكر ابن سلّام خبراً يرويه الزهري في أسباب النزول أنَّ أوّل آية نزلت في القتال هي الآية 39 من سورة الحج 22. وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عبّاس أنَّ النبيّ لمّا أُخْرِج من مكّة، قال أبو بكر: أخْرَجوا نبيّهم، فنزلت الآية،

فعُرف أنّه سيكون قتال، وهي أوّل آية نزلت في القتال. وذكر الواحدي سبباً ثالثاً ورد فيه أنَّ مشركي مكّة كانوا يؤذون النبيّ وأصحابه، فشكا المسلمون إلى النبيّ، فقال: اصبروا فإنّي لم أؤمَر بالقتال، حتّى هاجر النبيّ، ونزلت هذه الآية. وقد أورد الزمخشري سبباً رابعاً مضمونه أنَّ الآية نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكّة فأذن لهم في مقاتلتهم. أمّا في ما يتعلّق بالنسخ، فقد ذكر النحّاس أنَّ **هذه الآية ناسخة للمنع من القتال**[19]. وعلى أساس ما تقدّم فإنَّ أوّل نصّ قرآني جهادي كان قد نزل بُعيد الهجرة بقليل.

ب) المرحلة الثانية: من السنة الثانية للهجرة إلى السنة السادسة للهجرة

أهمّ النصوص التأسيسيّة التي يمكن نسبتها إلى هذه المرحلة ثلاثة نصوص هي الآيات 216 و217 و190 من سورة البقرة 2 التي لم تجمع المصادر القديمة على كونها مكيّة أو مدنيّة[20]. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنَّ إيرادنا الآية 190 بعد الآيتين 216 و217 مقصود. فقد وقفنا، كما سنبيّن لاحقاً، على أنَّ ذلك هو الترتيب التاريخيّ للآيات الثلاث.

أمّا النصّ الأوّل، فهو الآية 216 من سورة البقرة 2 **(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**، وبالرّغم من أنَّ هذه الآية لم يرد فيها سبب نزول، فإنَّ اعتبارها سابقة لصلح الحديبية الواقع سنة 6 للهجرة مشكوك فيه، فهي «**وإن كانت (...) إنشاء تشريع، فالكراهية موجودة حين نزول الآية، فلا تكون واردة في شأن صلح الحديبية**»[21].

وأمّا النصّ التأسيسي الثاني، فهو الآية 217 من السّورة نفسها ومضمونها **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**. وهي آية أشار العديد من المصادر إلى أنَّها نزلت قبل شهرين من غزوة بدر التي وقعت في السنة الثانية

19- المصحف وقراءاته، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف عبد المجيد الشرفي، ط1، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب، 2016، ج2، ص526-527.

20- بل المرجح أنّها مدنيّة بحسب أغلب الآراء، فإذا كانت قد احتلت المرتبة الثانية في المصحف الإمام، فإنّها عدّت من السور المتأخرة في ترتيب النزول. المصحف وقراءاته، ج1، ص16.

21- محمد الطاهر بن عاشور (تـ 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984. ج2، ص321.

للهجرة. فالآية 216 من سورة البقرة2 صرّحت بحكم فرض القتال، لكنّ الآية التالية لها [البقرة 217/2] «**قَدْ تَضَمَّنَتْ (...) تَحْرِيمَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ**»[22].

ويتمثّل النصّ التأسيسيّ الثالث لهذه الفترة في الآية: **(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)** [البقرة 190/2]، ففيه أمر بقتال الدفاع. وبالرّغم من أنَّ هذه الآية سابقة في ترتيب آيات المصحف الإمام للآيتين السابقتين، فإنَّ مضمونها والأحداث التاريخيّة التي ارتبطت بنزولها تبرز أنَّها لاحقة لها تاريخيّاً.

ت) المرحلة الثالثة: من السنة السادسة للهجرة إلى السنة التاسعة للهجرة

تبدو هذه المرحلة تتمّة للمرحلة السابقة ومواصلة لها، بالرغم من اختلاف الحكم التشريعي الذي تضمّنته نصوصها التأسيسيّة الواردة في ترتيب المصحف الإمام بعد النصوص التأسيسيّة للمرحلة السابقة.

فالآية 191 من سورة البقرة 2 **(وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)**، والآيتان 193 و194 من السورة نفسها **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ* الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** تضمّنت نوعين من القتال: قتال دفاع العدو المرتبط بالمكان الحرام وبالزمان الحرام، وقتال طلب العدو في غير ذلك.

وتشير المصادر إلى أسباب نزول عديدة تعلّقت بهذه الآيات، ذكر الواحدي خبراً عن ابن عبّاس أنَّ الآيات الممتدة من الآية 190 إلى الآية 194 من سورة البقرة2 قد نزلت في صلح الحديبية[23]. وذكر الطبرسي أنَّ الآية 191 نزلت بسبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفّار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين لذلك. وقال ابن إسحاق نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الحضرميّ حين قتله وافد بن عبد الله التميميّ وذلك في سريّة عبد الله بن جحش[24]. وذكر الرازي أنَّه قيل: كان المشركون يضربون ويؤذون أصحاب النبيّ بمكّة حتّى ذهبوا إلى الحبشة، وواظبوا على ذلك الإيذاء حتّى بعد هجرتهم إلى المدينة، فنزلت الآية. أمّا الآية 194، فقد ذكر ابن هشام أنَّها نزلت في عُمرة القضاء، وتسمّى **عمرة القصاص**، لأنَّهم صدّوا النبيّ في ذي

22- أبو بكر الرازي الجصاص (تـ 370هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، 1405 هـ، ج1، ص401. وقد ورد أيضاً في المصحف وقراءاته، ج1، ص142: (ن) نزلت في أمر سريّة عبد الله بن جحش وإنكار الناس على المسلمين القتال في الشهر الحرام (...)، وقال المفسّرون: إنّها نزلت قبل بدر بشهرين في خبر طويل.

23- المصحف وقراءاته، ج1، ص 124.

24- المرجع السابق، ج1، ص 125.

القعدة في الشهر الحرام سنة ستّ، فاقتصّ الرسول منهم، فدخل مكّة في ذي القعدة سنة سبع. وروى الواحدي عن قتادة أنَّها نزلت بعد عام من صلح الحديبية. وقال ابن عبّاس فيما ذكر ابن عطيّة: نزلت هذه الآية وما هو في معناها بمكّة. وقال مجاهد: بل نزلت بالمدينة بعد عمرة القضاء. وعن الحسن البصري أنَّ الكفّار سمعوا أنَّ الله نهى **النبيّ عن قتالهم في الأشهر الحرم، فأرادوا مقاتلته وظنّوا أنَّه لا يقاتلهم فنزلت الآية**[25].

ث) المرحلة الرابعة: من السنة التاسعة للهجرة إلى السنة العاشرة للهجرة

اتّفقت المصادر التاريخيّة على أنَّ سورة التوبة نزلت سنة 9 للهجرة في غزوة تبوك، وهي أيضاً آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَامِلَةً[26]. وهي سورة عرفت بحدّتها في التعامل مع الأعداء، فتأوّل بعضهم أنَّها سورة غضب، لذلك غابت البسملة عن مفتتحها. بل سمّاها البعض الآخر سورة السيف تسمية ينوب فيها الجزء عن الكلّ في إشارة إلى الآيات التالية:

أ) آية السّيف الأولى:

هي الآية الخامسة من سورة التّوبة 9 **(فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** تُسمّى آية السّيف، نسخت 144 آية، ولم يذكر فيها سبب نزول، تكرّر القتل فيها مرتبطاً بالمشركين في الآية السّادسة والثلاثين من سورة التوبة 9. أمّا القراءة المخالفة، فقد ارتبطت بفعل (**وَاحْصُرُوهُمْ)** الذي قرأه ابن عباس «**وحاصِروهم**»، وقد دلّت على الأمر بقتال المشركين بشرط اِنسلاخ الأشهر الحرم.[27]

ب) آية السّيف الثانية:

هي الآية التّاسعة والعشرون من سورة التّوبة 9، ونصّها **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)**، وتسمّى آية الجزية، نسخت آيات عدّة لعلّ أهمّها الآيتان 34 و35 من سورة الأنفال 8 والآية السّادسة والأربعون من سورة العنكبوت 29. بل اعتبرها أبو جعفر النحّاس ناسخة لآية السّيف

25- نفسه، ج1، ص 126.

26- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (تـ 241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001 م

27- المصحف وقراءاته، ج2، ص ص 41-42.

[التوبة 5/9]. وقد تعلّق بها من جهة النّزول ثلاثة أسباب: أوّلها أرجع نزولها إلى حدث **خروج المشركين من مكّة فشقّ ذلك على المسلمين لأنّهم كانوا يصيبون منهم تجارة**. وثانيها أنَّ الآية نزلت **حين أمر النبيّ بغزو الرّوم، وغزا بعد نزولها تبوك**. وثالثها أنَّها **نزلت في قريظة والنّضير** والقتال المذكور فيها ورد مقترنا بالذين لا يؤمنون في هذه الآية وفي الآية 123 من سورة التوبة 9[28].

ت) آية السيف الثالثة:

هي الآية السّادسة والثّلاثون من سورة التّوبة 9، ونصّها **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)**، تُسمّى آية القتال، ورد فيها رأيان ضدّان في النّسخ: الأوّل ذكر أنَّها **منسوخة بفرض القتال في كلّ زمن**. والرّأي الثّاني رأى أنَّ الآية ناسخة للآية 217 من سورة البقرة 2، أي أنَّها نسخت القتال في الأشهر الحرم[29]، وقد اعتبرها ابن عاشور ناسخة لحكم الأمر بـ: **قتال الدفاع**[30]، أي أنَّها مشرّعة للقتال مطلقاً.

ث) آية السّيف الرّابعة:

هي الآية الثالثة والسّبعون من سورة التوبة 9، ونصّها: **(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)**، لم يذكر فيها غير ما أورده القرطبي من كونها **نسخت كلّ شيء من العفو والصّلح والصّفح**. وهي آية تكرّر نصّها بأكمله في الآية التّاسعة من سورة التحريم 49. ارتبطت بفعل «**اغلظ**» قراءة لهجيّة نسبت إلى ابن عباس[31]. وتضمّنت حكم جهاد الكفّار والمنافقين.

ج) آية السّيف الخامسة:

هي الآية الثّالثة والعشرون بعد المئة من سورة التوبة 9، ومضمونها: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)**، لم يذكر فيها سوى أنَّها **منسوخة بآية القتال**[32].

28- المرجع السابق، ج2، ص 51.

29- جلال الدين السيوطي (تـ 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1974، ج3، ص 73.

30- محمد الطاهر بن عاشور (تـ 1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسيّة للنشر - تونس، 1984 هـ، ج2، ص 200.

31- المصحف وقراءاته، ج2، ص 69.

32- المرجع السابق، ج2، ص 91.

وهذه الآيات جميعها فسّرها القدامى بنصّ نعتبره من النصوص الثواني أيضاً، ويُسمَّى في أدبيات علوم القرآن بخبر الأسياف الأربعة المنسوب إلى عليّ بن أبي طالب والذي قال فيه: «**بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ: سَيْفٍ في المشركين من العرب، قال الله تعالى: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة 5/9]، هَكَذَا رَوَاهُ مُخْتَصَرًا، وَأَظُنُّ أَنَّ السَّيْفَ الثَّانِيَ هو قتال أهل الكتاب لقوله تَعَالَى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة 29/9] وَالسَّيْفُ الثَّالِثُ قِتَالُ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) [التوبة 9/ 73] و[التحريم 66 /9]، وَالرَّابِعُ قِتَالُ الْبَاغِينَ فِي قَوْلِهِ (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) [الحجرات 9/49]**»[33].

ويضيف هذا النص نصّين تأسيسيّين إلى نصوص سورة التوبة 9، وهما: الآية التاسعة من سورة التحريم 66، السورة المدنيّة بإجماع، والنازلة بعد سورة التوبة 9. ونصّ آية التحريم 66 هو ذاته نصّ آية التوبة 9، ما يعني وفق هذه المعطيات أنَّ نصّ آية التحريم ليس له مضمون تشريعيّ جديد، لكنّه يطرح السّؤال عن سبب تكرّره في فترة زمنيّة هي بالضرورة لاحقة للنّصّ الأوّل الوارد في سورة التوبة 9.

والنص الثاني هو الآية التاسعة من سورة الحجرات 49، السورة المدنيّة والنازلة في ترتيب النزول بعد سورة التحريم 66، وتظهر أسباب النزول أنَّ الآية مدنية، فإذا كانت الآية 13 من هذه السورة قد نزلت في مكة بعد الفتح [وهي هنا مدنيّة]، فإنَّ النص التأسيسي لجهاد الفئة الباغية يفترض أن تكون قد نزلت بعد السنة التاسعة للهجرة. ويكون بذلك قد اكتملت صورة الآخر المستهدف بالجهاد، يمكن تجلية مكوّناتها في ما يلي:

- جهاد غير المسلمين دفاعاً وطلباً.
- جهاد المنافقين جهاداً غير حربي.
- جهاد الفئة الباغية جهاداً غير حربي.

33- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (تـ 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419 هـ، ج4، ص99. والمرجع الوحيد الذي روى الخبر مختصر، وكان سابقاً لابن كثير هو: أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي (تـ 327هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعوديّة، 1419 هـ، ج6، ص 1752.

إنَّ صورة الآخر المستهدف بالجهاد الحربي تبدو بسيطة، ولا تحتاج إلى اجتهاد كبير لتحديد الذين ينتمون إليها دون غيرهم. لأنَّ تجربة الإسلام المبكّر ما زالت العلاقات بين الفاعلين الاجتماعيين فيها بسيطة. فدلالة «**غير المسلم**» في الفترة المدنيّة كانت تتمتّع بالوضوح اللازم لتصنيف أفراد المجتمع آنذاك إلى مسلمين وغير مسلمين. وقد كان النصّ القرآنيّ واضحاً في استثناء المنافقين والفئة الباغية من دائرة «**غير المسلم**»، والفئة الباغية حسب سبب نزول الآية 9 من سورة الحجرات 49، هي المبادِرة بالاعتداء. لكنّ الأهمّ من ذلك أنَّ اقتتال الفئتين لم يكن اقتتالاً حربيّاً، بل غاية ما في الأمر أنَّهما «**اقتتلتا**» بالأيدي والنعال[34]. ويبدو أنَّ النصوص الثواني قد أهملت مفهوم الاقتتال الذي لا يتعدّى العراك بغير سلاح حين اعتبرت الآية مشرّعة لجهاد الفئة الباغية. وكأنَّ الجهاد الذي تدعو إليه النصوص التأسيسيّة لا يكون إلّا بتحقّق فعل القتل، فيكون ثمّة قاتل ومقتول، الأمر الذي يطرح مشروعيّة التساؤل عن مفهوم الجهاد في هذه النصوص التأسيسيّة الأولى؟

الإجابة بسيطة شأنها شأن بساطة تحديد الفئات الأطراف المستهدفة بالجهاد الحربي. فالجهاد نوعان: جهاد غير حربي وجهاد حربي. الجهاد غير الحربي موجّه إلى الكلّ بدليل أنَّ الخطاب القرآني أمر الرّسول في الفترة المكيّة بأنّ يجاهد الذين كفروا بالنصّ القرآنيّ. بالإضافة إلى حثّ أنصاره على مجاهدة النفس والصبر والعفو والصفح. أمّا الفترة المدنيّة، فقد ظهرت فيها فئتان أخريان بيّنت النصوص الثواني أنَّ الله أمر الرّسول بجهادهما جهاداً غير حربي أيضاً. وهما، كما شرحنا سابقاً، المنافقون والفئة الباغية. ويبقى غير المسلمين مستهدفين بالجهاد الحربي متى شكّلوا خطراً على الدّعوة المحمّديّة. فهل ينطبق هذا المفهوم على ما نظرت إليه الجماعات الجهاديّة من مفهوم معاصر للجهاد؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال في العنصر الموالي نودّ أن نشير إلى أنَّ النصوص الثواني، ونقصد بها هنا ما أنتجته مقولة النسخ، عملت على تثبيت المعنى الأخير للجهاد الذي دلّت عليه نصوص سورة التوبة9 الجهاديّة. وهي نصوص لم يترك متأوّلوها مجالاً إلّا للسّيف. لذلك انتهت علوم القرآن في نهاية القرن السّابع أو بداية القرن الثامن للهجرة بتسميتها بسورة السّيف. وسنرى لاحقاً أنَّ الفترة التي ظهرت فيها هذه التسمية هي ذاتها التي عاش فيها تقي الدين بن تيميّة وتلميذه ابن قيّم الجوزيّة، أهمّ مرجعيّتين للحركات الجهاديّة السلفيّة.

34- المصحف وقراءاته، ج4، ص 49.

ثالثاً: مفهوم الجهاد في الكتابات الجهادية الراهنة:

عرضنا سابقا أهمّ المؤلّفات الجهاديّة التي كانت سنداً تشريعيّاً للحركات الجهاديّة الحاملة للسّلاح. وقد وقفنا على عناصر مشتركة عديدة عند مطالعتنا لها، نجملها في الملاحظات التالية:

ـ إنّ الحركات الجهاديّة تؤكّد ضرورة استمرار الفعل الجهادي وفق ما انتهت إليه النصوص التأسيسيّة في المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل تطوّر التشريع للجهاد في الفترة المدنيّة، في السنة العاشرة للهجرة. أي اعتبار الجهاد الذي دلّت عليه النصوص التأسيسيّة لسورة التوبة9 فعلاً تعبّديّاً شأنه شأن الصلاة والصوم، بما يعني أنَّ تديّن المسلم لا يكتمل إلّا به.

ـ لكنّ هذا الفعل التعبّدي كما يسمّيه منظرو الجهاد المعاصر لم يحافظوا منه سوى على ما نزل فيه من نصوص تأسيسيّة أولى، باعتبار أنَّ كلّ النصوص القرآنيّة النازلة في الفترة المكيّة والتي تأمر بالصبر والصفح والعفو والدعوة إلى الإسلام بالموعظة الحسنة ومجاهدة المشركين بالنص القرآني لم يبقَ لها أيّ حضور تشريعيّ في هذا الصدد.

ـ غير أنَّ فهم تلك النصوص لم يحصل بالرّجوع إليها رجوعاً مباشراً، ولا بالاستناد إلى مختلف النصوص الفقهيّة والتشريعيّة التي أنتجتها الحضارة الإسلاميّة منذ بدء تفاعلها مع النصّ القرآني إلى اليوم. بل تميّز فهمهم لتلك النصوص بخاصيتي **الوساطة** و**الانتقائيّة**.

ـ أمّا **الوساطة**، فإنَّ منظري الجهاد المعاصر لم يدرسوا تلك النصوص التأسيسيّة بالرجوع إلى بنيتها اللغويّة ومكوّناتها الخطابيّة وإلى الظروف التاريخيّة التي تنزّلت فيها، بل درسوها بواسطة نصوص متأخّرة جدّاً [أفكار ابن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة ومحمّد بن عبد الوهّاب] لاحقة للنصوص الثواني [مختلف علوم القرآن]. وبالرغم من وعي بعضهم أنَّ فكرة الجهاد في النص القرآني قد مرّت بمراحل متعدّدة، فإنّها ترى أنَّ الوحي أقرّ نظريّة الجهاد في مرحلتها النهائيّة. وهذا الأمر يحيل إلى طبيعة الذاكرة الجماعيّة التي سنشير إليها لاحقاً.

ـ وأمّا **الانتقائية**، فإنَّ منظري الجهاد الجدد لم يستخلصوا نظريتهم الجهاديّة من مجموع الأدبيّات الفقهيّة التقليديّة، بل استندوا إلى ثلاث مرجعيّات أساسيّة هي كما بيّنا سابقاً: مرجعيّة فتاوى ابن تيميّة وتجربته الجهاديّة. ومرجعيّة ابن قيم الجوزيّة من خلال كتبه العديدة. والمرجعيّة الوهابيّة التي جمعت أقوال مشائخها/ علماء نجد بدءاً بمحمد بن عبد الوهاب في موسوعة الدرر السنيّة.

1) أهم مرجعيّات الجهاد المعاصر:

في عرضنا لأهمّ المصنّفات في الجهاد المعاصر ركّزنا على أمرين اثنين هما: كيفيّة حضور النصّ التأسيسيّ الأوّل للجهاد، والتجربة الجهاديّة التي يستقي منها كلّ مؤلِّف مرجعيّته في الكتابة، فكان لهؤلاء المؤلِّفين ثلاث مرجعيَّات أساسيّة هي: **ابن تيميّة** و**ابن قيم الجوزيّة** و**محمد بن عبد الوهاب**.

أ) ابن تيميّة:

يُعدّ ابن تيميّة مرجعاً أساسيّاً استند إليه السلفيّون الجدد في تأسيسهم لنظريّتهم الجهاديّة، ويكمن مضمون مرجعيّته في أمرين اثنين هما: تجربته الجهاديّة في حياته اليوميّة، ومؤلّفاته التي كانت نابعة من صميم تلك الحياة اليومية[35]. فقد حفظت لنا كتب التاريخ والسيرة ما كان يفعله ابن تيميّة في وقوفه في وجه هجمات التتار من حضّ على الجهاد ومشاركة فيه، ومن عمله على فكّ أسر أسرى المسلمين من العدو[36].

كما حفظت لنا أيضاً جهاده المذهبيّ الذي وجّهه ضدّ الطرق الصوفيّة كالطريقة الأحمديّة وضدّ الشيعة الذين يسمّيهم الرافضة. غير أنَّ الأهمّ من كلّ ذلك هو مجاهدته «**لأعدائه**» الذين قدّموه للمحاكمة في مناسبات عديدة بسبب إرغامه على التخلي عن بعض ما يعتقده في ما يُسمّى بعقيدته الواسطيّة التي ألّف فيها مجموعة من الكتب[37].

وأغلب مؤلّفاته لا تخلو من الحديث عن الجهاد، أو التنظير له، أو تأكيد أهمّيته من حيث هو الأسّ الذي لا يستقيم إيمان المسلم إلّا به، نذكر منها بالخصوص كتاب «**فقه الجهاد**»، وكتاب «**أمراض القلوب وشفاؤها**»، وكتاب «**الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**»، وكتاب «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»،

35- عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيميّة من الأشاعرة، ط1، مكتبة الرشد - الرياض، 1995.

36- من أمثلة ذلك ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988، قوله في ج13، ص 416 «وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ شَوَّالٍ عَمِلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّين بن تيميّة ميعاداً في الجهاد وحرض فيه وبالغ في أجور المجاهدين، وكان ميعاداً حافلاً جليلاً» وقوله في ج14، ص 9 و12 و13 «وَسُلْطَانُ التَّتَارُ قَدْ قَصَدَ دِمَشْقَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ، فَاجْتَمَعَ أَعْيَانُ الْبَلَدِ (...) وَكَلَّمَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ عَادَ نَفْعُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ (...) خَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّين بن تيميّة إلى مُخَيَّم بُولَاي فَاجْتَمَعَ بِهِ فِي فكاك من كان مَعَهُ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَنْقَذَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنْ أَيْدِيهِم».

37- يكشف أسلوب ابن كثير في تاريخه عن أنّ صراع ابن تيميّة مع العديد من الشيوخ كان صراعاً على النفوذ يتخفّى وراء الصراع العقائدي، انظر في هذا الصدد: إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 22، 26، 41.

وكتاب «**الردّ إلى الإخنائي قاضي المالكيّة**»، وكتاب «**الحسبة في الإسلام**»، وكتاب «**الصارم المسلول على شاتم الرسول**»، وكتاب «**قاعدة في الانغماس في العدو**»[38]، وكتاب «**النصيريّة طغاة سورية**»[39].

ب) ابن قيم الجوزية:

هو التلميذ المخلص لابن تيميّة، تذكر المصادر أنَّه بقي ملازماً له مدة ست عشرة سنة كاملة[40]، فكان يأخذ بأفكاره ويتّبعها في الفقه والإفتاء حتى سجن معه، وبسبب ذلك كانت خصومته مع ابن السبكي. وكتب ابن القيم ترشح بأقوال شيخه ابن تيميّة. ولعلّ أهمّ كتبه في هذا الصدد كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد»[41] الذي تحدّث فيه عن مراتب الجهاد، فحدّدها في أربع هي: جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين. وإخلاص ابن قيّم الجوزيّة لشيخه ابن تيميّة يظهر في مشاركته الميدانيّة في بعض الأعمال الجهاديّة[42].

ت) زعيم علماء نجد: محمد بن عبد الوهاب

يلقّبه أتباعه بشيخ الإسلام كما لُـقِّب سلفه ابن تيميّة. وقفنا على ترجمة له في الدرر السنّيّة ورد فيها: «**وفيه مشابهة لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم فيما ناله من الرؤساء والأحبار، في ابتداء دعوته؛ فإنّه رحمه الله لمّا أظهر الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، استصرخوا بأهل الحرمين، والنجرانيين، خالد وغيرهم عليه، وألّبت تلك الطوائف. فثبّته الله ومن آواه ونصره، على قلّة منهم وضعف، وصبروا على مخالفة الناس، وتحمّلوا عداوة كلّ من عادى هذا الدين. بل أشبه أمر الشيخ ما جرى لخاتم النبيّين، حتّى في مهاجره وأنصاره، وكثرة من عاداه وناوأه في حال الابتداء، كما هو حال الحقّ في المبادئ، يردّه الكثيرون وينكرونه، ويقبله القليل وينصرونه، ثمّ تكون الغلبة له**»[43].

38- تقي الدين بن تيميّة، فقه الجهاد، دار الفكر العربي، بيروت، 1992 - أمراض القلوب وشفاؤها، ط2، المطبعة السلفية - القاهرة 1399هـ - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق جماعي، ط2، دار العاصمة، السعوديّة، 1999 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعوديّة، 1418هـ - الرد إلى الإخنائي قاضي المالكيّة، تحقيق الداني بن منير آل زهري، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، 1423 هـ - الحسبة في الإسلام، ط1، دار الكتب العلميّة، د.ت. - الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، السعوديّة، د.ت. - قاعدة في الانغماس في العدو، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط1، أضواء السلف، 2002 -.

39- أصل هذا الكتاب فتوى، ويظهر أنَّ العنوان من وضع الناشر. تقي الدين بن تيميّة، النصيرية طغاة سورية، دار الإفتاء، الرياض، السعوديّة، د.ت.

40- ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 270.

41- ابن قيم الجوزية (ت. 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلاميّة، الكويت، 1994.

42- انظر في هذا الصدد: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 142، 161، 249، 270.

43- الدرر السنيّة، ج16، ص 321، وانظر أيضاً كامل الترجمة التي تبدأ من ص 316 إلى ص 340 من ج16.

وتشبيه محمد بن عبد الوهاب بالرّسول يرتكز أساساً على قراءة إسقاطيّة لمراحل التجربة الجهاديّة التي تتضمّن إعلان الدعوة وما تلاقيه من اضطهاد ثمّ البراء وتكفير العدو ثمّ الهجرة وما ينتج عنها من احتضان للمهاجرين. وهذه التجربة يستبطنها السلفيون الجدد ويعتبرونها طريقاً مقدّسة يجب أن تتّبع حين تقتضي الظروف اتّباعها.

2) مصطلحات الجهاد المعاصر:

مصطلحات الجهاد المعاصر كثيرة، وقد تحتاج دراستها إلى مؤلّف مستقل للوقوف على أصولها التاريخيّة، وتاريخ تطوّرها حتّى انتهت إلى ما آلت إليه اليوم. ونكتفي في هذا المقام بالنظر المختصر في مصطلحين كثيراً ما نسمعهما وهما: مصطلح الطاغوت، ومصطلح الولاء والبراء. وسبب اختيارهما فرضته نظريّة الجهاد نفسها. فقد بيّنا أعلاه أنَّ الإشكال ليس في طبيعة فعل الجهاد الحربي في حدّ ذاته، بل يكمن في هويّة الأشخاص الذين يتوجّه إليهم السلفيون الجدد بفعل الجهاد. وتلك الهويّة يمكن تجليتها بالوقوف على مفهوم الطاغوت، فإذا تمّ ذلك جاءت الخطوة الثانية وهي الولاء والبراء.

أ) الطاغوت:

ذكر لفظ الطّاغوت في النصّ القرآنيّ ستّ مرات: في الآية 257 من سورة البقرة 2، وفي الآيتين 60 و76 من سورة النساء4، وفي الآية 60 من سورة المائدة5، وفي الآية 36 من سورة النحل 16، وفي الآية 17من سورة الزمر39. وقد عُدّت الآيتان الأخيرتان مكيّتين، لذلك وردتا متشابهتين في الحديث عن اجتناب الطّاغوت. أمّا الآيات الأربع الأخرى، فهي مدنيّة ارتبط بعضها بالقتال. والطّاغوت المقصود فيها جميعاً لم يخرج عن أربعة معانٍ هي: الأوثان والشيطان والكاهن وكلّ ما يعبد من دون الله من شيء[44]، بحسب ما جاء في تفسير الطبري.

غير أنَّ هذا المعنى قد توسَّعت دلالاته عند كلّ من ابن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة، ليشمل كلّ مخالف للرجلين في العقيدة التي ينتميان إليها، وهي «**عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة**» بتعبير ابن تيميّة[45]. وقد قدّم ابن تيميّة تعريفاً موجزاً للطّاغوت في كتابه «**قاعدة في المحبة**»، ورد فيه: «**والطاغوت كلّ معظّم ومتعظّم بغير طاعة الله ورسوله من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان**»[46]، أمّا تلميذه ابن قيّم

44- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير (ت-310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000. ج5، ص ص 416-418.

45- انظر في هذا الصدد كتاب: تقي الدين بن تيميّة، العقيدة الواسطيّة: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنّة والجماعة، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط2 أضواء السلف - الرياض، 1999.

46- ابن تيميّة، قاعدة في المحبّة، ص 187.

الجوزيّة، فقد قدّم شرحاً أعمق لهذا المصطلح، مبرزاً أنَّ «**الطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّه مِن مَعْبُود أَوْ متْبوع أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَاغوت كُلِّ قَوْم مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لله**»، ثمّ نزّل هذا المفهوم النظري في واقعه بقوله: «**فَهَذِه طَوَاغِيت الْعَالَم إذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْت أَحْوَال النّاس معها، رَأَيْت أَكْثَرَهُمْ [عَدَلُوا] مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إلَى عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنْ التَّحَاكُم إلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ إلَى التَّحَاكُم إلَى الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إلَى طَاعَةِ الطَّاغُوتِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ النَّاجِينَ الْفَائِزِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[47].

وقد حضر تعريف ابن قيّم الجوزيّة للطاغوت في موسوعة الحركة الوهابيّة «**الدرر السنيّة في الأجوبة النجديّة**» حضوراً مكثفاً في مواضيع متعدّدة. فذكره محمد بن عبد الوهاب في كتاب العقائد وكتاب التوحيد[48].

وخلاصة القول في هذا المصطلح: إنَّ أدبيات السلفيّة الجهاديّة اعتنقت الأفكار الجهاديّة التي أنتجتها القرون المتأخرة عن الإسلام المبكّر. وهي أفكار انزاحت عن التصوّر الإسلامي المبكر في تحديد هويّة العدو المستهدف بالجهاد الحربي. فسورة التوبة 9 حدّدت عدوّ الدعوة الإسلاميّة ودولتها الناشئة في ثلاثة أصناف: المشركون وأهل الكتاب والمنافقون. غير أنَّ ابن تيميّة وخلفه ابن قيّم الجوزيّة وخلفهما محمد بن عبد الوهاب وخلفه شيوخ نجد انزاحوا بمفهوم الشرك بتأويل مصطلح الطاغوت، ليشمل الشّركُ كلَّ مخالف للعقيدة الواسطيّة سالفة الذكر. ولتفعيل الجهاد في كلّ من خالفهم العقيدة وجب استحداث مصطلحات أخرى هي بمثابة الوجه التطبيقي لمصطلح الطاغوت، مثل الولاء والبراء.

ب) الولاء والبراء:

الولاء والبراء مصطلحان من صميم العقيدة السلفيّة التي نقلها السلفيّون الجدد عن السلفيين القدامى [ابن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة وأعلام الحركة الوهابيّة]، قال ابن تيميّة في تعريف هذين المصطلحين: «**البراءة ضدّ الْوَلَايَة، وأصل الْبَرَاءَة البغض وأصل الْوَلَايَة الْحبّ**»[49]، «**وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكلّ وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضاً، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عقيدة الولاء والبراء).**

47- ابن قيم الجوزيّة، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلميّة - بيروت، 1991. ج1، ص 40.

48- الدرر السنيّة، ج1، ص131، ج2، ص 289

49- تقي الدين بن تيميّة، جامع الرسائل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، دار العطاء - الرياض، 2001م، ج2، ص 84.

وليست هذه القضيّة قضيّة فرعيّة من قضايا الإيمان، بل هي قضيّة أساسيّة مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمّتين»[50].

وقد لا يكفي هنا عرض هذين المصطلحين عرضاً مستفيضاً ولا الاكتفاء بهما لفهم الفكر السلفي الجهادي، لذلك يجدر الاطلاع على غير هذين المصطلحين في الأدبيّات الجهاديّة المتعدّدة. لأنَّ ذلك قد يساعدنا على تحقيق فهم أعمق للظاهرة الجهاديّة، وقد كشفنا النصوص التأسيسيّة والمرجعيّات الأساسيّة التي قامت عليها هذه النظريّة.

خاتمة:

اتّضح ممّا تقدّم أنَّ التأصيل لمفهوم الجهاد قد أجريناه على منهج قوامه: أوّلاً تجلية تاريخ أهمّ المؤلفات الجهاديّة منذ الإسلام المبكر إلى الحركات الجهاديّة الراهنة، ثمّ اهتممنا ثانياً بأهمّ النصوص التأسيسيّة للجهاد في المرحلة المدنيّة من تاريخ الدعوة المحمديّة، لنركّز ثالثاً على مفهوم الجهاد الراهن، فتبين أنَّه جهاد لا يتأسّس على روح النصوص التأسيسيّة، بل استند على مرجعيّات شبّه لهم أنَّ تجربتها الجهاديّة هي تجربة مشابهة لتجربة النبوَّة، وهذا ما يمكن تسميته بالانزياح الخطير لمفهوم الجهاد في النص القرآني. فتاريخ الجهاد من النصّ التأسيسيّ إلى السلفيّة الجهاديّة تاريخ الانزياح عن القيم الكونيّة التي قامت عليها الدعوة المحمديّة ذاتها.

وكما أنَّ الثابت لدينا أنَّ مفهوم الجهاد الرّاهن لا علاقة له بجهاد الإسلام المبكّر، وأنَّ المرجعيات المسقطة على الراهن هي نصوص ثوانٍ أنتجها واقع مغاير، فإنَّ الثابت لدينا أيضاً أنَّ البحث في النصوص التأسيسيّة منزّلة في لحظاتها التاريخيّة بحثاً لا حجب فيه، سيمكننا بالعودة من ذلك الانزياح ومن تلك الإسقاطات إلى روح الدعوة المحمديّة، إلى قيم الإسلام الكونيّة.

50- والمقصود بالأمتين: أمّة الإيمان التي لم توال إلا الله وحده وهي الفرقة الناجية، وأمّة الكفر التي تجمع كلّ الطواغيت.

قائمة المصادر والمراجع

1. المراجع القديمة (مرتّبة ترتيباً تاريخيّاً)

- عبد الله بن المبارك (تـ 181هـ)، الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1972.
- محمد بن إدريس الشافعي (تـ 204هـ)، كتاب الأم، دار المعرفة، بيروت، 1990.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (تـ 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 2001
- أبو بكر بن أبي عاصم (تـ 287هـ)، الجهاد لابن أبي عاصم، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الجميد، ط1، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنوّرة، 1409هـ.
- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير (تـ310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000.
- أبو محمّد ابن أبي حاتم الرازي (تـ 327هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعوديّة، 1419 هـ.
- أبو بكر الرازي الجصّاص (تـ 370هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمّد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405 هـ.
- ابن عساكر علي بن الحسن (تـ 571هـ)، الأربعون في الحث على الجهاد، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، د.ت.
- تقي الدين بن تيميّة (تـ 728هـ)،
  - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعوديّة، 1418هـ
  - أمراض القلوب وشفاؤها، ط2، المطبعة السلفيّة – القاهرة 1399هـ
  - جامع الرسائل، تحقيق محمّد رشاد سالم، ط1، دار العطاء - الرياض، 2001م، ج2، ص 84.
  - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق جماعي، ط2، دار العاصمة، السعوديّة، 1999
  - الحسبة في الإسلام، ط1، دار الكتب العلميّة، د.ت.
  - الردّ إلى الإخنائي قاضي المالكيّة، تحقيق الداني بن منير آل زهري، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، 1423 هـ

- الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، السعوديّة، د.ت.
- العقيدة الواسطيّة: **اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنّة والجماعة**، تحقيق: أبو محمّد أشرف بن عبد المقصود، ط2 أضواء السلف ـ الرياض، 1999.
- الفتاوى الكبرى، ط1، دار الكتب العلميّة، 1987.
- فقه الجهاد، دار الفكر العربي، بيروت، 1992.
- قاعدة في الانغماس في العدو، تحقيق أبو محمّد أشرف بن عبد المقصود، ط1، أضواء السلف، 2002.
- قاعدة في المحبّة، تحقيق محمّد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.
- النصيريّة طغاة سورية، دار الإفتاء، الرياض، السعوديّة، د.ت.

- ابن قيم الجوزية (تـ 751هـ):
  - زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ مكتبة المنار الإسلاميّة، الكويت، 1994.
  - إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، تحقيق محمّد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، 1991.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (تـ 774هـ)،
  - تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، منشورات محمّد علي بيضون ـ بيروت، 1419 هـ.
  - البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988.
- جلال الدين السيوطي (تـ 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1974.
- حاجي خليفة (تـ 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى ـ بغداد، 1941.
- الدرر السنيّة في الأجوبة النجديّة، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي(تـ1392هـ)، ط6، 1996.

2. المراجع العربيّة الحديثة (مرتّبة ترتيباً ألفبائيّاً)

- أبو بكر ناجي، إدارة التوحّش: أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمّة، مركز الدراسات والبحوث الإسلاميّة، د.ت.
- أبو قتادة الفلسطيني (عمر بن محمود)، الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج، ط1، دار البيارق، الأردن، 1999.

- أبو محمّد عاصم المقدسي، ملّة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين وأساليب الطغاة في تمييعها وصرف الدعاة عنها، نشر منبر التوحيد والجهاد.
- أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلاميّة، 2004.
- أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، القول النرجسي بعدالة الشيخ أبي بكر المقدسي، 2009.
- الدقس، كامل سلامة، آيات الجهاد في القرآن الكريم، دراسة موضوعيّة وتاريخيّة وبيانيّة، دار البيان للنشر، الكويت، 1972.
- سميرة مختار الليثي، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ط1، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، 2007.
- عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيميّة من الأشاعرة، ط1، مكتبة الرشد ـ الرياض، 1995.
- القرضاوي، يوسف، فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، ط3، مكتبة وهبة، مصر، 2009.
- قطب، سيد، معالم في الطريق، ط6، دار الشروق، بيروت، 1979.
- محمّد الطاهر بن عاشور (تـ 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسيّة للنشر ـ تونس، 1984.
- المصحف وقراءاته، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف عبد المجيد الشرفي، ط1، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب، 2016.
- هادي الجبوري، الشيعة والخوئي جهاد واجتهاد، ط1، 1997.

3. المراجع باللسان الأجنبي:

- Jean Flori. — Guerre sainte, jihad, croisade. Violence et religion dans le christianisme et l’islam. Paris, Seuil, 2002.
- Knapp, Michael G. The Concept and Practice of Jihad in Islam, in: U.S. Army War College; spring2003 , Vol. 33 Issue 1, pp82-94.
- Mohamed Ourya, Les justifications de la guerre / Guerre
- Olivier Moos, Le jihad s’habille en Prada, Une analyse des conversionsjihadistes en Europe, in : Cahiers de l’Institut Religioscope, Numéro 14, Août 2016.
- sainte, jihad, croisade. Violence et religion dans le christianisme et l’islam, de Jean Flori. Seuil.

- Sami A. Aldeeb Abu-Sahlieh ; Le jihad dans l'islam ; Interprétation des versets coraniques relatifs au jihad à travers les siècles, CreateSpace Independent Publishing Platform; **Édition :** 1 (4 mars 2016).

4. المراجع المأخوذة من العناوين الإلكترونيّة

- محمّد عبد السلام فرج، الجهاد الفريضة الغائبة، من العنوان الإلكتروني التالي:
http://unfulfilledduty.weebly.com/uploads/1/8/5/3/18537222/__.pdf (بتاريخ 19-08-2017)
- أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري، القول النرجسي بعدالة الشيخ أبي بكر المقدسي، 2009. من
https://ia902705.us.archive.org/9/items/elmqdsi/qaul.pdf (بتاريخ 19-08-2017)
- أبو مصعب السوري (عمر بن عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلاميّة، 2004. من العنوان الإلكتروني التالي:
https://ia600303.us.archive.org/25/items/Dawaaah/DAWH.pdf (بتاريخ 19-08-2017)
- العمدة في إعداد العدّة للجهاد في سبيل الله تعالى. من الموقع الالكتروني التالي:
https://www.alkutubcafe.com/book/wJl6S7.html [بتاريخ 19-08-2017]

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019